

سرمدی

"لا بداية له ولا نهاية"
نصوص وخواطر

كان على هذا الكتاب، أن يحتوي على صفحة إهداء، كلمات شكر لأحدهم، والعائلة والأصدقاء والرفاق.

لكنني في اللحظة الأخيرة قررت ألا اكتب كلمات كهذه.

لا إهداء، لا شكر.

إنه للغائبين الذي قرروا أن يأخذوا من الغياب منزلاً جديداً، بعدما منحناهم الحب وقابلوه بالرفض، وغابوا عتاً، وغابت ملامحهم.

لم اكتب هذه الكلمات لأبقيكم بذاكرتي، بل أرثيكم لا شيء أكثر من هذا.

أعزائي القراء.

من النساء والرجال.

للرجال خاصةً، انا لا أكره الرجال، لا أحملُ نحوكم أيةً ضغينةً، أنا فقط اعتدتُ أن أكتب بهذه الطريقة، أحاولُ جاهدةً، لا ابتكارَ طريقةٍ جديدةً.

لستُ متحيزةً للنساء، انا فقط امرأةٌ مثلهن، أعرفُ كيف يفكرنَّ، وحقيقةً شعورهنَّ، إنهنَّ دائماً يخبرنك على عكس ما بداخلهنَّ.

لست عدوتك، لا أسير على نهج أحلام مستغامي التي لم تفعل شيئاً في حياتها سوى أن تكره الرجال، وقد تزوجت خمس مرات.

لستُ كرضوى الشربيني، التي تأمر متابعاتها بعمل "بلوك"، لستُ شيئاً من هؤلاء النسوة.

عزيراتي من النساء.

سيتبادر لذهنك حين تقرأين هذا الكتاب، أنني ضحية لرجل، علق قلبي به ورحل، يؤسفني أن أخبرك بأن هذا لم يحدث.

لستُ ضحيةً، ولم يخونني رجل، ولم يتركني أحدهم ويرحل، أنا فقط يستهويني فعل الكتابة.

عليك أن تدرك أنني لا أنصفك بهذا الكتاب، أنا فقط صديقاتي من النساء، فوثقتُ تجاربهنَّ ليس أكثر.

ستجدين نفسك في نصٍ أو اثنين، نصيحتي الأولى لك: لا تعيدي توجيه هذه الكلمات إلى الرجل الذي برفتك، لا تقومي بمشاركتها في قصتك، ليس عليك فعل شيء أكثر من الحديث عما بداخلك.

فكلُّ من أعرفهنَّ، فضلنَّ الصمت على الحديث، حتى هُجرنَّ، أو هجرنَّ.

ليس عليك أن تفعلي شيئاً، أكثر من أن تتحلي بالشجاعة، فالرجل لن يفهم مقصدك من كلمات كتبتها امرأة أخرى، سيظن أن النص أعجبك فقط، يفضلون الاستماع على القراءة، تحدثي، وتحدثي، حتى ينفذ منك الحديث، فإن أثمر حديثك بنتائج ترضيك هنيئاً لك، وإن لم يثمر، احزمي حقائبك وغادري بما تبقى منك من مشاعر، ستعثرين على من يستحقها.

ستعثرين على من يرفض العالم بأسره، ويقبل بك.

ستجدين الذي يقدم لك عمره، ويراه قليلاً بحق امرأة مثلك.

ديانا المناصير.

"عندما قررتُ أن ارتب حياتي،
كان لزامًا أن اتخلص من الكراكيب
التي تشغل حيزًا من الفراغ دون جدوى،
فبدأتُ بك"
-ندى ناصر.

هذه أنا، من خلفتها وراءك ورحلت.
هذه أنا، التي لم يلتفت لها قلبك.
أعرف أنك فضوليًا وتريد أن تعرف كل شيء، بدءًا من اسرار الكون والوجود،
حتى البعث والموت.
إلا أنك لست قادرًا على أن تكون فضوليًا تجاه ما أكتبه لك، وإنك لم تحاول حتى.
لا بأس، اليوم وبعد أن كنتُ أكثر امرأة احببتك، تحولتُ لأكثرهن برودًا نحوك.
شيئًا فشيئًا بدأتُ بالتخلص منك، كما تخلصتُ من زجاجات عطري الفارغة.

إنك تشبه كل الأشياء التي أحببتها.

كلاكما رحل.

كلاكما كان حلمًا أو ربما وهماً.

إني الآن وبقدر ما كنت متمسكةً بك.

أفلتُ يداي.

لم يعد بوسعي الوقوف على الأطلال أكثر،

في حين أنك في الجهة الأخرى من العالم.

لا تتذكرني وإن مرت بك صورتني، أو اسمي، أو ربما أنا.

إني لا شيء في حياتك، كما كنت دائمًا.

وددتُ لو أكون إحدى أصابعك.
أو صوتك، إحدى ضحكاتك السبعة، أو كلها.
وددتُ لو أنني كنتُ أعيش فيك كما تفعلُ أنت.
أن أكون أشياء لا يمكنك بترها حتى لو أردت.
لكنني كنتُ كهاتفك المحمول،
تهرغُ راضاً لتغييره، كلما أصابك الملل من القديم.
كصورةٍ في غرفتك،
ضاعت ملامح من فيها.
كنتُ دائماً شخصاً غير مرئي بالنسبة لك.

يُطارِدني شبح الماضي، إنه يمسكُ بي من عنقي.
يلتهم اجزائي.
يفترسُ رأسي.
إنه يطرقُ أبواب جسدي كمطرفة.
تنهشني ذكرياتي معك، وتنال مني دموعي.
لا شيء بي بخير، وإني بكل ما بي متعبين.
استنزفُ مشاعري.
طاقتي.
أركضُ في الطرقات، وأبكي.
افعل كل شيءٍ قد قيل أنه يبعثُ الراحة في النفس.
لا شيء حدث.
وإني كلما اردتُ التخلص من ذكرياتنا.
تخلصت هي بجزءٍ مني.
لقد قاربتُ على الانتهاء.
بينما هي كما لو أنها تتكاثر،
تزداد.

هذه أنا أخون العهد الذي قطعته على نفسي للمرة المئة، وافتح صفحة جديدة لأكتب.
بعدها عاهدت نفسي بأني لن أكتب نصًا، أو جملةً قد تعنيك، حتى أنني ابتعدت عن قراءة
الروايات التي تتحدث عن قصص الحب، كي لا توقظ مشاعري النائمة نحوك.
توقف عن نشر نصوسي مؤخرًا، خاصةً تلك التي تتحدث عنك وعن تفاصيلك، عن اللحظات
التي أمضيها معك.
خوفًا على نفسي مما أكتبه، أولًا.
وأن تقع إحداهن بغرامك حين تقرأ نصوسي، ثانيًا.
توقفت أنت كذلك عن زيارتي في أحلامي، ويوسفني أنك فعلت، فهذا يعني أنك لا تشناق إلي،
وأنني قد أكون غادرتك.
لست أدري، هل يسعد قلبي بغيابك عن أحلامي كما أنت غائب عني، أم يحزن لأنك لا تشناق
إلي.
قد قيل لي ذات مرة، أن عدم القدرة على النوم، هذا يعني أنني استيقظ في أحلام أحدهم، أتمنى أن
تكون أنت ليس أحدًا آخر، ولتكون أكثر يقينًا من شوقي إليك، فأنا اشتقت.
حين ظننت أنني تخلصت منك بداخلي، أعادتك لي أغنية، مدينةً جمعتنا، وصورة لنا.
أود كثيرًا، لو أنني ابتز أصابعي، فأتوقف عن الكتابة، لو أنني لا أستطيع القراءة فلا أقرأ
رسائلك، لو أنني لم ألتقي بك.
إنك ومهما طال غيابك، عالقًا بي، كقلادتي القديمة، رغم أنني تخلصت منها، لكنني لم أتخلص
منك.
إنك كروما كلما اتخذت لي طريقًا جديدًا خاليًا منك، أجده فجأةً ينتهي بك.
كل الطرق تؤدي إليك وليس إلى روما.

وددتُ كثيرًا أن يكون لي القدرة على الغوص بأعماقك، وددتُ لو أدخل قلبك مرة.
لأعرف كيف أبدو لك.
ولأقطع الشك باليقين، في أمر مشاعرك نحوي.
هذه مشاعري تتخبط يمناً ويسرى، مرة ينتابني شعور بأنك تحبني، وأخرى بأنك لا تحمل لي ذرة شعور حبٍ ولا كرهٍ.
إنه لأمرٍ مروّع، أن أكون لا شيء، لا شيء فقط.
لا تحبني، ولكنك لا تكرهني، أنا في المنتصف، تعبرُ بأيامك من خلالي، كما لو أنك تعبر كتلة هواء هادئة لا تثير فيك شيئاً سوى غضبك لإفساد تسريحة شعرك.
وددتُ لو باستطاعتي الدخول إلى قلبك، لأعرف كيف بدوتُ في عينيك حين ألتقينا أول مرة، كيف كان وقع كلمة "مرحباً"، حين قلتها لك أول مرة.
كيف كان شعورك حين تصافحت أيادينا لأول مرة.
وكيف بدت نبضات قلبك حين شممت عطري أول مرة.
وددتُ لو أعرف من أنا فيك!
وكيف أبدو كل مرة تراني فيها.
وددتُ لو أنني استطعت معرفة شعورك نحوي حين أخبرتك لأول مرة أنني أحمل في قلبي مشاعر نحوك.
هل كنت صادقاً في رذك أم أنك كنت تكذب؟
هل ابتسمت؟
أم تأففت؟
وددتُ لو باستطاعتي أن أعيد الزمن إلى الوراء، حيث ألتقينا أول مرة واخترت الطريق الآخر، حيث طريق لا يُفضي في نهايته إليك.

فقدتُ كل الطرق التي تؤدي إليك.
أقف في المنتصف.
لستُ قريبة، ولكني لستُ بعيدة.
أحاول أن اتقصي آثار أقدامك، لكن الرياح كانت أسرع مني، فمسحتها.
أبكي، لأنني لم أحصل على شيءٍ من الأشياء التي تمنيتها.
وكنتُ الخاسرة الوحيدة في كل المعارك التي خضتها.
كنتُ المحاربة الوحيدة.
أنا الآن لستُ إلا ظل امرأة.
مليئة بالخدوش.
والثقوب.

أدركتُ اليوم أن سبب حزني، ليس الغياب، الرحيل أو الفقد.
لم تكن خسارتي إياك هي السبب القوي لحزني.
كنتُ أبكي لأجلي، كنتُ حزينة لأجلي.
لخسارتي لذاتي، وكل شيءٍ جميل كان معي يوماً، فقدتُهُ بطريقة ما لأجلك، لأكون امرأة ترضي قلبك، تمتلئ بي عينيك، ورغم كل الأشياء التي قدمتها لأحتفظ بك، فقد خسرت.
لن أكذب، وأتملقك لتعود، لن أقول لك أن خسارتك كانت أكبر خسارات عمري، وأن رحيلك جعلني جثة سائرة، بلا روح، ولا قلب.
جسدي مازال معي، قلبي كذلك، لكنه مهشم.
كانت خسارتي لنفسي هي الشيء الذي جعل مني ما أنا عليه، كنتُ أبحث عني، لا عنك.
كنتُ أبكي عليّ لا عليك.
أرثي نفسي بكل تلك الرسائل، لا أرثيك.
إني اليوم بعدما كنتُ أسير على أرضٍ كان بساطها من الورد، أمشي على الأشواك، بحثاً عني.
وعن ذاتي الغائبة.
عن أشياءي التي تخليتُ عنها لأجلك.
عن كل ما كان معي، وفقدته حين كنتُ منغمسة باكتشافك، كما لو أنك قطعة نادرة الوجود.
كنتُ جميلاً بالمظهر، وفارغاً من الداخل.
سعيدة حين عرفتُ أن حزني لغيابي، لا لغيابك.
بينما أنت، ستحزن، لخسارتي، ستجوب بقاع العالم لتعيدني، ستحاول حتى تنفذ طاقتك، ولم تنجح.
المرأة التي أحببتك، رحلت معك، ولن تعود، حتى لو أنك عدت أنت.
أنا امرأة لا أعرفها، ولن تعرفها أنت كذلك.

"رجعوني عينيك لأيامي الي راحوا"

-كوكب الشرق.

أدركتُ أخيراً حجم غيابك.

كارثة أطاحت بي وقلبي.

يعيدني صوت كوكب الشرق إلى حيث لقأونا الأول في كل مرة أسمعها تقول: "رجعوني عينيك لأيامي الي راحوا".

هذا الغياب قاسي يا عزيزي.

لقد تمكن مني.

أعادني إلى حادثة الفقد الأولى التي عشتها، حين كانت فقيدتي جدتي، اذكر حينها أنني وقفت لا أفهم ما يدور حولي، ولم أبكي إلا حين رأيتُ أمي تصرخُ بعلو صوتها تبحث عن أمها، هنا فقط أدركتُ حجم المعاناة التي أعيشها.

وضعتُ نفسي في مكان أمي، هزت تلك الحادثة قلبي، حين رأيتُ أمي سيدة بعقدها الرابع تبكي، فماذا عساي أن أفعل أنا، ولم أبلغ بعد عقدي الثاني.

الآن وأنا في منتصف العقد الثاني، أجتو على قلبي كل ليلة، وأبكي.

ابكي لغيابك.

لغياب جدتي.

وصديقتي التي لم يسعفني الوقت لأقبلها قبل رحيلها.

لا يمكنك أن تتصور حجم البكاء الذي لم أبكيه بعد.

أدركتُ اليوم فقط، أنني وإن بكيتُ كل يوم، سيبقى بداخلي بكاء قد يحتاج مني أضعاف عمري الحالي لينتهي.

قولي لك بأن غيابك سيكون من أكثر الأشياء التي تفرع قلبي، لم يكن قولاً عابراً، لم يكن حديث ولدٍ بمحض الصدفة وحسب.

كان رجاءً حاراً، ألا ترحل.

ألا تكون أنت أيضاً في عداد الغائبين.

ألا تُفرع قلبي بعدما وجد الطمانينة في حضورك.

حتى هذه اللحظة، يلتفُ قلبي حول نفسه، ويرتجفُ خوفاً، أكثر من كونه يشعرُ بالبرد.

عدني أنك لن تنساني.
وإنني لن أغادر ذاكرتك مهما مر من وقت.
ومهما عبر على قلبك من نساء.
عدني، أن يكون لي مساحةً خاصة لا تطأها قدم امرأة من بعدي.
لا تنسى تفاصيلي التي كنت تحفظها.
لا تنسى صوتي.
نصوصي.
ضحكاتنا معًا.
لا تنسى أنني المرأة الوحيدة التي منحتك من الحب أطنان.
وهبتُ لك نفسي.
قلبي.
وكلي.
لكنك اخترت بالنهاية أن ترحل.
يعزُّ عليّ أن أراك كاذبًا بعيني.
خائنًا للأمانات.
ناقضًا للعهد.

"قادني إليك قدر، وسرقك مني آخر،

وبين القدرين فقدت قلبي".

-مي زيادة.

بالأمس قمتُ بزيارة خاطفة إلى مكاننا المفضل.

لكنه لم يعد هكذا.

خرجتُ للشارع لأُرفه عن قلبي، لأساعده على متابعة خطواته نحو النسيان. خرجتُ لأبكيك حباً وشوقاً وتوسلاً للعودة.

خرجتُ ابكي تحت المطر، حتى لا يكون للناس حُجة على بكائي، وان سألوني عن احمرار عيني، أُجيبهم عن الحساسية المفرطة التي أعاني عنها منذ صغري.

مررتُ بكل الشوارع التي سبق أن كنا بها.

مررتُ ببائع الحلوى، قام باستضافتي على عربته الصغيرة، وأهداني حلوتي المفضلة، أكلتها كمن يأكل نفسه.

مررتُ ببائعة الورد أيضاً، ألقيت عليها التحية، دعوتُ الله بسري كثيراً ألا تسألني عنك، وألا توقظ حبك النائم، وقبل أن أنتهي من ترديد دعواتي، وجدتي أقف على عتبة سؤالها عنك بلا إجابة مني.

ابتسمتُ لها، لا أكثر، أظنها ترجمت ابتسامتي بشكل جيد، وكتعويضٍ منها على الألم الذي سببته، أهدتني وردة حمراء، كالذي كنت تشتريها لي منها، ظننت أنها تعويض، وما كانت إلا جرحاً آخر فتقته بعدما قاربت على إغلاقه.

شكرتها ومضيت.

وصلت عند المقهى، ترددتُ كثيراً قبل أن أولج بالدخول، لكن الحنين لك كان أقوى، وجرني إلى الطاولة نفسها، بلا وعيٍ مني جلست، يعرفُ النادل أنني أحب القهوة خالية من السكر، لم تسنح لي الفرصة لطلب شيء جديد، فقد كان أسرع مني، وأحضر القهوة، وأحضر صورتك، كانت تسكنُ الفنجان.

ألقيتُ التحية على الصورة، وقبلتها بأول رشفة، ولم أستطع إكمالها، تركت فنجاني، وحملتُ صورتك معي.

كما دائماً افعل.

أخيراً وصلتُ إلى تلك الحديقة، حيث كنا نجلس بها، لأن كلانا لا يملك المال للذهاب إلى ديزني لاند، أو إلى مكانٍ أفضل، لكن زيارتي لهذا المكان برفتك كان بمثابة جولة حول العالم، فقط برفتك، وليس بدونك.

رأيتُ حشداً من الأناس مجتمعين، أحدهم يلتقط الصور وأطفالاً يركضون نحو الحشد، وجدتي أركضُ معهم لأرى.

صدر قرارًا من البلدية يستوجب قطع الشجرة الأم في الحديقة، لأن جذورها تسببت بموت من هم أصغر منها، وقفنَّ أتأمل المكان الذي جنبت لأجله، ذهب قبل أن ألقى عليه سلامي الأخير، لم يمنحوني فرصة أخيرة لألمس موضع يدك وأنت تكتبُ اسمينا عليها.

قُلعت جذوري مرتين، مرة برحيلك، والأخرى حين قلعوا آخر ذكرى كانت لي منك.

"لا يعنيني شعورك العظيم الذي تكنه لي،

إن كنت تتصرف على عكسه تمامًا"

-غادة السمان.

منذ أن ألتقينا وأنا أجهل حقيقة شعورك نحوي، فمرة تتصرف كأنك صديق.

وأخرى حبيب.

ومرة كما لو أنك وطن.

تعلم أنني امرأة تحب أن تسمع الاعترافات، لا التلميحات.

لستُ مراهقة لأرقص من كلمة قلتها، وأنت لا تعنيها.

لقد كبرتُ على أن أكون تلك المراهقة، التي لا تنام من فرط سعادتها،

لأنها ظنت أن تلك النظرة تحمل الحب.

أحبُّ أن أسمع الاعترافات.

امرأة تحب أن يُفعل ما يقال لها.

غير ذلك، أنت لست رجلاً.

حتى تثبت العكس.

"إن أحببت شيئاً بشدة، فأطلق سراحه،
فإن عاد لك، فهو ملكك،
وإن لم يعد، فهو لم يكن لك من البداية"
-لقائله.

تخليتُ أخيراً عن فكرة انتظارك.
تركْتُك تذهب حيثُ تشاء.
تعلمتُ كيف أشربُ القهوة باردة.
إنها دافئة.
ولأنهم أخبروني أن الإنسان يزداد قوةً، كلما تخلى، فقد تخليت.
مالي أراني ازدادُ ضعفاً.
ظننتُك ستعود.
مر يوماً، فائنين، فشهرًا، فعامًا.
حتى توقفتُ عن عد الأيام، والسنوات.
لن أخفيَ حقيقةَ انتظاري، لمدةٍ تفوق العامين.
لن أخفيَ عليك حقيقةَ مشاعري، أيضًا.
لكنك حتى وبعد أن حررتُك من قيودي، لم تعد.
هذا يعني أنك لم تكن لي.
تجاهلتُ كل الإشارات.
وقررتُ خوض حربي ضدهم، لتكون لي.
صدق قولهم.
وكذبت وعدك.

أما بعد...

للرجل الوحيد الذي أحببته.

ونذرتُ ما تبقي من عمري لأجله، فكان نصيبي منه الخيبة، ليس أكثر.

كلانا يعلم أنني كنتُ استحق شيئاً غيرها، أفضل منها، كنتُ انتظر أن تكافئ قلبي بالحب، بالقرب منه لا بالرحيل عنه.

أياً كان ما حدث، فقد حدث، والحديث في الماضي في هذا الوقت تحديداً لن يجدي نفعاً، كلانا الآن في أماكن مختلفة، مع أشخاص آخرين، وكم كنتُ أتمنى أن أكون برفقتك أنت.

كيف حالك؟

أعرف أنك بخير، وإلا لما طال غيابك كل هذه المدة!

وتعرف أن لا شيء قد يجعلني بخير سواك، وكنت ترى أن هذا الشعور أيضاً كثيراً عليّ، كما كنت ترى نفسك دائماً حين كنت معي.

في حين أن صديقي في الحي يخبرني أنني كثيرة على رجلٍ مثلك، كنتُ أضحك حد البكاء، ليس لأنني غير واثقة من نفسي، بل لأنني كنتُ بداخلي أتمنى لو أنك القائل.

أعرف أن صديقي هذا أيضاً يكنُ لي الكثير من الحب، الكثير منه، ذاته الذي تمنيتُ أن يكون منك وليس من رجلٍ آخر، أمارسُ معه كل أنواع القسوة، علهُ يكرهني ويكف عن اعترافاته لي بالحب.

أرى نفسي فيه كثيراً، وأراك فيّ حين أكون معه.

هو يراني كل أحلامه، وأنا أحلمُ بك.

يفعل كل شيء ليُسعدَ قلبي، وأفعلُ أنا كل شيء لأستعيدك إليّ.

إحدى المرات أخبرني صديقي أن انتظاري لك قد بدأ يأكل من ملامحي، ومن جسدي، اليوم حين نظرتُ للمرأة رأيتني مختلفة، ملامحي لا تشبهني، وجسدي نحيلاً جداً، فعرفتُ أنه كان محقاً.

توقف هو أيضاً عن اعترافه لي بالحب، أظنه أيقن أن قلبي لن يملكه رجلاً آخر سواك.

صار يساعدي لأستعيدك، كان حبه صادقاً أكثر من حبي لك بكثير، كان يفعل كل الأشياء التي تسعدني حتى وإن كانت عودتك، في حين كنتُ أنا انتظر عودتك لتسعدني، أتقن هو دوره وفشلتُ أنا في ذات الأمر.

حين نظرتُ إليه بامعان وجدتُ أيضاً أن انتظاره لي قد آكل منه الكثير، ملامحه باهتة، وجسده نحيل، كانت جملمته من وحي تجربة يحيياها معي، يعزُّ عليّ أن أكون بهذه القسوة، ويعزُّ عليّ أن يفوت صديقي فرصاً كثيرة، لأجلي.

لأنك اعتدت أن تلهو بي كطفلٍ في الرابعة.
لأنك لم تعتد على أن تكون على قدرٍ كافي من المسؤولية.
لأن قائمة الحلول لديك، كانت تحتوي فقط على كلمة واحدة.
"اهرب".
ولأن الهروب ثلثي الرجولة في قاموسكم.
كنت تهرب دائماً.
مني.
من مسؤولية مشاعرك نحوي.
كنت طفلاً.
وحتى حين قررت أن تكون رجلاً، فشلت.
ستراني في انعكاس صورتك.
في كأسٍ من الماء.
في المرأة.
سأكون دوماً شخصاً يُفزعك.
يسلبُك طمأنينة قلبك.
سأكونُ دوماً حسرُتُك.
سأدعو الله كثيراً أن يطيلَ في عمرك.
ويزيد في عذابك.
سأكون أنا ودعواتي دوماً خلف كل الأشياء التي ستصادفك.
عند الله تلتقي الخصوم.
سأفعل ما بوسعي، كي لا أغفر.

أنا عدوةٌ للأماكن المزدهمة.
الضوضاء.
الأصوات الصاخبة.
لا تروقني الأماكن التي يتهافثُ الناسُ عليها.
يروقني الهدوء.
صوت الماء.
والبحر.
طرقات المطر على النافذة.
معزوفة موسيقية هادئة.
أنا رفيقة الليل.
السماء والنجوم.
والأرياف.
عدوةٌ لكل ما هو عكس ذلك.
للضوء.
أصوات السيارات.
المدينة.
قلبك أيضًا يشبه المدينة، كان مزدهمًا.
ما تنفك أن تغادره امرأة، حتى تأتي أخرى.
أنتِ عدوي للأبد.

هذه المرة، كان الأمر يستحق.
يستحق أن أرحل، تاركة خلفي رجل لا يراني بعين قلبه.
لا يكف عن إلقاء اللوم عليّ،
في الصغيرة والكبيرة.
لن أحاول مجددًا إحياء ما مات فيك.
كنت أركض لأضمد جراحك،
وكنت أنت تزيد في وضع الملح على جروحي.
لم يكن هذا طبق طعامك المفضل، الذي صنعتُهُ لك والدتك.
فتزيد في الملح كيفما تشاء.
لقد كان قلبي.

"نفيتُ واستوطنَ الأعرابُ،

في بلدي"

-حسن المرواني.

قررتُ أن أتعافى منك،

بدأت بالبحث عن طرقٍ لا تؤدي إليك.

عن أشخاصٍ لا يشبهونك،

ولا تعرفهم.

عن أسماءٍ لا تشبه اسمك.

عن تفاصيل كثيرة ما رأيتها في أحدٍ سواك.

خرجتُ أطرقُ الابواب.

أسأل العابرين عن مأوى.

لا أعرفُ كيف تحولت وجوهُ العابرين إلى وجهك أنت.

كيف سقطت مني الأصوات، عدا صوتك عالماً بقلبي.

كيف استطاع حسن المرواني أن يكتب في شعره "نفيتُ واستوطنَ الأعرابُ في بلدي".

أية قوة كان يملكها آنذاك، ليكتب جملة كهذه دون أن يهوي قلمه،

دون أن يتبدل الحبر إلى دموع.

"بل كانت حماقاتي".

كنتُ أندفعُ إليك بكل ما أملك من قوة، ولكنني ارتطمت بواقعٍ من حديد.

ببعدٍ لم أطلبه،

ورحيلٍ لم أتمناه.

اندفعتُ إليك بكلي، حتى ما بقي مني شيئاً قادراً على السير،

ولو خطوة واحدة.

لم أكن أتعافى منك،

كنتُ أكذب.

كنتُ أتشبه بك أكثر.

وكنتُ تتمكن مني أكثر.

كما لو أنك مرضاً ينهش قلبي.

أَوْ حَلْمًا لَا يَكْفَىٰ عَنِ زِيَارَتِي.

"بيني وبينك لا شيء،
وهذا أسوء ما قد يكون"
-ديانا المناصير

كنتُ أعرف قبلاً أن الطريق لقلبك قد يطول.
وأنه مليئاً بالأشواكِ.
والعقباتِ.
لكنني لم أتخيل ولو للحظة،
أن يكون في نهايته حاجزاً يحول بيني وبينك.
لو كانت امرأة لقتلتها.
لو أنها مسافئةً، لجئتُك من بقاع الأرض.
لكنه لا شيء.
لا شيء منك.
لا شيء عنك.
بيني وبينك لا شيء،
حيث لا يمكنني فعل حياله شيء.

فاتتني تفاصيل كثيرة حين كنتُ أنغمس في حزني.
فاتني أن أكون سعيدة.
أن أعيش لي.
أن اصنع مع نفسي والآخرين ذكريات لا تُنسى.
كان كل ما صنعه أشياء تستدعي البكاء كلما تذكرتها.
فاتني أن أكون كما أردتني دوماً.
نسيْتُ أحلامي.
ونسيْتُ كيف يحلم المرء.
هذا الضعف الذي يسكنني، مخيف.
لم أعتد فكرة أن أكون ضعيفة.
تخشى الأشياء والآخرين.
ومن نفسها أكثر من كل هذا.
لستُ بخير.
كان باستطاعتي أن أقولها لكم،
لو أنني وجدت من يستمع لي.

"أرجو أن يكون ذلك عن عمد،
فالعقاب عندي أهون من الإهمال".
-عباس العقاد.

كيف حالك؟

ألم يحن الوقت بعد لتكتب إليّ؟
ألا تريد أن تخبرني عنك وعن حالك؟
عن حياتك الجديدة بعدما خلت مني!
عن قهوتك، مثلاً.
وسادتك.

وهل غيرت عطرك؟
أكتب ما شئت.

بالطريقة التي تُريدها.
كيفما تريد.

أكتب كل كلمة بورقة.
حتى لو كلمة.
أكتب.

يزداد ظمأي لحروفك.
ألن تروي قلبي بها.

أكتب لي عن فتاتك الجديدة!

هل حفظت تاريخ لقاءكم الأول؟

هل قبلت صورة لك قبل أن تنام؟

هل تحبك بما يكفي،

لتبقيك؟

أتعلم!

حتى وإن أحببتك، فهي لن تفعل هذا أكثر مما فعلت أنا.

مهما حفظت من تفاصيل لك،

لن تفعلها بالطريقة التي أفعلها أنا.

أنتَ بالنسبةِ إليّ عَصِيٌّ على النسيانِ،
أما عنها لا أدري.

ربما يصابُ قلبها بالزهايمر فتنساك.

ربما تأكلُ قسوتك شغفها،

فتقرر أن تنساك.

ربما تغادرك بليلةٍ تخلو من

ضوء القمر.

بلا وداع.

ولا رسالة.

ولا عناق.

هكذا فجأةً.

وكأنها لم تكن.

فتبحث عنها كالمجنون.

أخبرني عن نوع سجاثرك.

ألازلت تستخدم النوع ذاته؟

أكتب لي.

أخبرني إن صار لك أبناء.

ما اسمهم؟

من يشبهون؟

أنت أم والدتهم؟

أكتب لي.

وإن كان سطرًا واحدًا

تقولُ فيه:

"أنا سعيد، فتوقفي عن

الكتابة إليّ".

حزينة لأجلك، ليس قليلاً بل كثيراً.
شخصاً مثلك لا يقوى على الحب،
لن يعيش طويلاً، سيشيخ قلبك باكراً،
سيكون مليئاً بالنساء اللواتي يشبهنك،
وهذا ما يستحقه رجلٌ مثلك، وستموت مقتولاً بوحدتك.
ستفزعك رؤيتي بالمنام،
سيفزعك أن أراود ذهنك فجأةً
أن تلتقط ضحكة إحداهن وتظنها لي،
أن تشتم عطري ولا تجدني أنا من أضعه.
ستفزعك كل امرأة تأتي من بعدي لها الاسم نفسه،
أو أخرى تملك لون العينين ذاته،
كل أشيائي التي ظننت نفسك تجاوزتها،
ستراها بكل امرأة تعرفها،
وستملك الكثير منهن ظناً منك أنك تستجمع صفاتي،
غير أنك لا تفعل شيئاً من هذا سوى أنك ترهق نفسك بالبحث عني
دون أن تجدني.

أبكاني صوت المنبه صباحاً.
أبكتني تلك الرمشة التي دخلت عيني.
بكيت لأن غرفتي غير مرتبة.
لأن فنجان قهوتي برد.
ولأن أظفري كُسر.
لأن شعري تبعثر
بعد ساعة أمضيئها في تسريحه.
بكيت على أغنية لم أسمعها.
على صديقتي التي فقدت قطتها.
على طفل سقط في الشارع فجأة.
لأن بطارية هاتفي نفذت وأنا
في السطر الاخير من النص الجديد.
لأني أضعت ربطة الشعر المفضلة لدي.
لان أمي لم تصنع لي طعامي المفضل.
بكيت لأشياء عادية.
لم أبكي حين رحلت.
وحين فقدت صديقتي.
وحين فقدت نفسي.
أجلت البكاء لوقت آخر،
حتى خرج دفعة واحدة
في مواقف لا تستدعي البكاء.

حتى بعد أيامٍ كثيرةٍ من الهجر.

لازلتُ أنتظر.

أفتح الأبواب على مصراعيها.

أجلس محدقةً في الفراغ أنتظر طيفك أن يطلَّ عليّ.

أنتظر صوت خطواتك عائدةً نحوي.

وأنتظر دفئ لمسائك لتسقط على يدي.

وكلماتك على قلبي.

أنتظر كما لو أن الفراق حدث قبل دقيقة، أو ليلة.

لا يصدق قلبي فكرة أنك رحلت بلا عودة.

بعد الفراق، أدركتُ كيف يمكن للمرء أن يبكي، دون أن يذرف دمعاً واحدة.

وكيف يضحك في وجوه الآخرين، بينما هناك سكاكين كاد أن يتشقق صدره منها.

أدركتُ كيف يبقى الراحل في الذاكرة، حتى لو بعد ألف يومٍ من الغياب.

ألف يومٍ خاليًا منك، من صوتك، وضحكتك.

قد تبدو المدة بالنسبة لك عادية،

بينما على قلبي كانت كما لو أنها ألف عام.

ألف عامٍ من الألم، القلق، الخوف.

وألف رسالةٍ تنتظرُ منك أن تقرأها.

وألف كلمةٍ علقت في حنجرتي.

ألف عامٍ من الغياب.

الذكريات تنهش قلبي، بلا رحمةٍ منها بحاله،

حتى ذكرياتك كانت تشبهك.

قاسية، جاحدة.

ترفض أن تترك مساحةً لأي شيء يسكن حياتي عداها،

إنها تأبى أن أتذكر أي شيء بعيد عن اسمك وصورتك.

توقفت عيناى عن البكاء، لأن الدمع نفذ.

اليوم أناملي هي من تبكي،

و كل ما بي يبكي،

كما لو أنك رحلت الآن.

"لن أكون لك، وكي أمعن في إيلاّمك
لن أكون لسواك أيضاً".
-غادة السمان.

سيتبادر إلى ذهنك دوّمًا، أنني أبحثُ عنك في رجلٍ آخر.
لأنك كنتِ دوّمًا متغطرس.
تظنّ نفسك شخصًا مثاليًا، كاملاً، لا ينقصه شيء.
ستعتقُ دوّمًا أنني لن أعيش الحب مع غيرك.
لن يقبل بي رجلًا آخر، سواك.
غير أن الحقيقة هي.
أنني لم أتخلّى عنك، لأبحث عن آخر فيه
صفاتك نفسها.
لن أعيش الألم ذاته مرتين.
هجرتك لأنك لا تلتيق بقلبي.
لأنك دوّمًا ترى نفسك كثيرًا، على امرأة مثلي.
الحقيقة هي أنني من كنتُ كثيرة على رجلٍ مثلك.
لا تقلق، لا أفكرُ بأن أكون مع غيرك.
ولا أفكرُ فيك أصلًا.
فالمؤمن يا عزيزي لا يلدغ من حجرٍ مرتين.

"بعدك على بالي،

يا قمر الحلوين"

-فيروز.

في ليلةٍ وضحاها بدلتُ جلدي، تركتُ خلفي امرأةً لا تُشبهني، خلعتها عني،
وتركتُ شلالاتٍ من الدموع المنهمرة على وسادتي.

أقنعتُ من يسأل أنني أصبتُ بحمى جعلتني أتعرق فبللتُ الوسائد،

دون ذكر أن قلبي هو الذي أصيب بالحمى وليس جسدي، حين نظرتُ بالمرآة لم أعرفني، لم
تكن أنا من تسكنُ انعكاس الصورة.

امرأةً بملامح مختلفة، بعينين أكثر انتفاخاً وهالاتٍ من الحزن تحيطها، بأنفٍ محمر.

ابتسمتُ لتلك المرأة وغسلتُ وجهي من آثار ليلةٍ حفرت بقلبي ندبة لن أنساها ما حييت.

وقفتُ مطولاً أمام مرآتي أتحدثُ إليّ، أو ربما لشخصي الجديد كما أفعل بكل مرة يسقط بها قلبي.

ابتسمتُ لها مرة أخرى،

وأخبرتها أن ما فات لم يعد يعنينا بشيء وكل الأشياء التي حدثت بالأمس لم تكن.

وحين فتحت اختي المذيع، باغتني صوت فيروز وهي تقول: "بعدك على بالي يا قمر الحلوين".

وصرتُ عارية من كل الأكاذيب أمام نفسي، لملمتُ ما بقي مني وعدت أبكي أكثر من قبل.

"كل الطرق تؤدي إليك،
حتى تلك التي سلكتها لنسيانك"
-محمود درويش.

لم يتغير كثيرًا موضوع كتاباتي،
لازلت أنت المحور الذي أتحدث عنه،
كما لو أنك ظاهرة كونية، قلبت الدنيا رأسًا على عقب.
لكنني لا أكتب عن حبي لك.
أكتب عن غيابك.
قسوتك.

عن مرارة فقدي إياك.
أكتب سطرًا وأبكي عمرًا.
قل لي: كيف أتخلص منك يا أسوأ عاداتي؟
كيف أتحول لشخص قاسي مثلك؟
وكيف أكون شخصًا لا يخاف الفراق؟
هل تذكر حين أخبرتك عن حزني بسبب موت عصفور بني له عشًا على نافذتي؟
كنت تضحك تارة، وتواسيني تارة.

إلى أنك في نهاية الحديث قلت لي جملة لن أنساها ما حييت: "ظنك العصفور شمسًا لا تغيب،
فبنى عشه قربك، لشعوره بالدفء وما أن غبت مات، وأنا كالعصفور، متعلق بك حد الموت"
اليوم أنت تحلق بعيدا.

أيعقل أن الطائر قد كان أشد حبًا لي منك؟
لا أصدق أنني من شدة حزني أقارنك بطائر صغير.
لا يهم.

لقد كانت مواساة لا أكثر، لم تكن تعني ما تقول.
حزينة.

لأنني فارغة من كل شيء.
أحاول أن أفعل أشياء كثيرة، كي أنساك.
ولكنك تعود مجددًا بطريقة أجهلها.

أبحث فيك عن الرجل الذي أحببتُه، منذ أول لقاء.
أبحثُ فيك عن بقايا الرجل الذي كان معي.
تلك العينين لم ألتقي بها، لا تحمل النظرة ذاتها.
تلك النبيرة خالية من الحب واللهفة.
ولمسة يدك باردة.

إنك لستَ الرجل الذي أعرفه.

كلانا يبحث في الآخر عنا.

أعرف أنك تبحث فيّ عن المرأة التي أحببتها.

وأنك تنتظر عودتي كأول مرة ألتقينا بها.

لستُ امرأتك التي ألتقيتها.

أصبحتُ أقل تمسكًا.

أقلُّ فرحةً بحضورك.

وأكثرُ راحة في غيابك.

كلانا كان مخطئًا،

حين ظننا أن الحب قد يُصلح ما أفسده الهجر فينا.

يوسفني يا عزيزي أن الحب قد غادرنا منذ زمن،

منذ آخر مرة حاولنا فيها انتشال قلوبنا مما كانا فيه.

منذ آخر محاولة لإنقاذ ما تبقى فينا.

رحلت عنك لأنك كنت أكثرهم عجزًا عن مواساتي،

كنتُ أبحث عن يلملم أشلاني،

كنتُ أتيك بضحكة كي لا تشعر بأني حزينة.

حين أُجبرت على إخفاء حزني عنك مرة تلو الأخرى،

عرفتُ أنك كنتَ الاختيار الخاطيء،

الذي لطالما كنتُ أحميد بطريقي عنه.

في حين كنتُ أبحث عن الطمأنينة.

كنت أنت من هز طمأنينة قلبي.

لم تكن رؤيا،

كنت أضغاث أحلام.

كنت شخصاً أخافني.

لم تكن أشيائي الجميلة.

أنا من ظننتُ هكذا.

وإن بعض الظن إثم.

"لَوَحْتُ له يدي مودَعَةً،
ولا يعلم كم يداً في قلبي لَوَحْتُ له للبقاء".
-مي زيادة.

اقول لك: وداعاً.
وفي قرارة نفسي أهمس لك: أرجوك لا ترحل.
لا تتركني وحدي اصارع الغياب.
مثلي لا يقوى على الوداع.
لا ترحل.
لا تستمع إلى صوتي.
فقط انظر لعيني.
ستقرأها.
لا تحاربني بغيابك.
استأصل أجزاءي.
ولا تستأصل نفسك مني.
لا تدعني لنفسي.
لا أستطيع أن أقول لك: ابقى هنا.
شيء ما يمنعني.
ذات الشيء يمنعني من الاقتراب منك.
لا أملك وسيلة واحدة تبقيك.
ولا تملك انت سبباً لرحيلك.
هذا التناقض يأكلني.
اكتبْ لك وداعاً.
وفي اللحظة التي تليها.
أهرع للبحث عنك.
أفتح أبواب قلبي على مصرعيها.
انتظر عودتك.

كنت دائماً تتقن فعل الأشياء.
أتقنت دورك كشخصٍ محب، كما لو أنك تملك قلوب العالمين.
شعرتُ حينها كما لو أنك تحبني بقلوبهم جميعاً.
وأتقنت الكذب أيضاً.
أتقنت أدوارك جميعها.
كما لو أنك كنت طوال حياتك تذاكر.
كيف تكون رجلاً خائناً.
أتقنت أكثر من كل هذا.
دورك في الغياب.
فعلته كما لم يفعله أحدًا قبلك.
بلا وداع.
بلا أسباب.
بلا شيء.
كنت دائماً تفعل الأشياء التي تريدها، متى أردت.
لم تكن يوماً من الذين يابسون بأمر الآخرين.
أعدت أن يعينك أمرك فقط.
ولمن بعدك الطوفان.
كنت بارعاً في كل شيء.
منذ لحظة البداية، حتى النهاية.
قمت بدورك بإتقان.

حين التقيتُ بك وأحبيتك.
أقسمتُ لنفسي أن أغلق كل الابواب التي تؤدي لغيرك.
أن أغير كل مساراتي لطريقي ينتهي بك.
خلقتُ لنفسي ايادي جديدة،
لأكون قادرة على أن اتمسك بك .
رأيتُ أن قلبًا واحدًا لا يكفي على احتوائك.
حياة واحدة تُعاشُ لأجلك أيضًا قد لا تكفي.
في كل مرة كنت أوشكُ فيها على خسارتك،
هرولتُ مسرعةً لأخلقُ لنفسي يدًا جديدة تُمسك بك.
قلبًا وحبًا جديدين يجبرونك حبًا على البقاء.
في آخر مرة.
وحين أوشكتُ فيها على فقدانك،
فتحت النوافذ والأبواب.
لوحنتُ لك بيدي أودعك، وبترتُ كل الأيادي التي كانت تمسك بك.
رأيتُ أنني امرأة تستحق أن تجد من يحاول لأجلها،
أن يُمسكَ بها أحدهم ولا تتمسك هي.
لا حاجة لي بكل تلك الأيادي ولا لأكثر من قلبٍ،
ولا عدة حيواتٍ أعيشها لأجلك، وأراك تعيشُ حياة واحدة للجميع،
عداي أنا.

"اكتبُ لأتخلصَ من مرارةِ خيبتهم،
لأتخلصَ من عبءِ ذكرياتهم،
لأرثيهم الرثاءَ الأخير"
-زيد الباكير.

اكتبُ لأتخلصَ من بقاياك التي علقت بي.
من صورتك المعلقة على جدار قلبي.
اكتبُ خيبتني فيك.
تعبي منك.
أحاولُ جاهدةً أن أتخلصَ من هزائمي.
دموعي.
وكل شيء يرهق قلبي.
اكتبك لأحرق الصفحة.
فأتخلص منك.
لأتلذذ برائحة الحريق،
لأضحك أمام الرماد، كما لو أنك من داخل النار.
اكتبُ ليلاً، لأستيقظ صباحاً، وأجدني فارغاً منك.
لأنك كنتَ الأكثر شراً.
والمأ.
لأنك لست هنا، فأشتكي لك منك.
لأنك لم تسمع ندائي الأخير.
كنتُ قبلاً، اكتبُ حباً.
اليوم، اكتبُ كرهاً.
شتانُ ما بين الإثنين.

إنك تقفُ أمامي.
يفصل بيننا بضع مترات.
ومئة خيبة.
كنت قريباً، وبعيداً.
ملاحك لم تتغير، كما هي.
جامدة، باردة.
في لقاءٍ لم يتجاوز الدقيقتين،
مرت بي كل ذكرى جمعتني بك.
كل كلمة قد قلتها لي.
وكل ضحكة.
وخبية.
إنك لا تعرف، كم صليتُ ليجمعنا الله.
لا أصدق أنني رأيتك تقفُ أمامي.
ولم أهرع كي أسرق منك عناق،
كما كنتُ أنوي.
لا أصدق أن الغياب قد أكل منك كما فعل بي.
ورغم أنك كنت الذي بادر به قبلاً.
قررت فجأة أن الفراق سيكون الخيار الأمثل لعلاقةٍ دامت طويلاً.
لا أعرف من أي زاوية كنت ترى الأمر.
وكيف قررت دون أن تسألني عن رأي فيه.
اليوم بعد عامٍ كامل مليء بالوحدة، الغياب،
قسوة الليالي، برودة قلبك.
تقفُ أمامي.
لست بالجبروت الذي عهدته فيك.
ولست بالأناقة التي لطالما ارتبطت باسمك.
كان من الغريب، أن أراك،
ولا يقفز قلبي ككل مرة.

لقد كان حالك يرثى له.
الآن بكل ما كان يحمله قلبي لك من حب،
تجاوزتك.
كان قرارك بالفراق صائبًا،
لقد كنت تحميني من شرور نفسك دون أن تدري.
قدمت لي حياة جديدة، دون أن تعرف.
تجاوزتك، وتجاوزتُ لقائي فيك كأنه لم يكن.

"فاقد الشيء يعطيه

بالشكل الذي تمنى أن يحصل عليه "

-جبران خليل جبران.

من قال أن فاقد الشيء لا يعطيه.

من قرر شيئاً كهذا.

هذه أنا، كنت أكثر من يفتقر للحب.

وقدمته لك بشغفٍ، لم يحدث من قبل.

كنتُ من الذين لم يركض إليهم أحد.

وأكثر من كان يركضُ إليك.

كنتُ أفتقر لشعوري بالأمان.

لكنني منحتك إياه.

منحتك كل الأشياء التي لم أحصل عليها في حياتي.

بالصورة التي دائماً تمنيتها.

في حين كنتَ تراني ذنباً وخطيئة.

كنتُ أراك معجزة.

كنتَ في حياتي شخصاً، لن يتكرر مرتين.

استمع إلى كاظم وهو يقول:

"حبك مثل الموت والولادة، صعبٌ بأن يعاد مرتين"

هو يغني لامرأته، وأنا أغني لأجلك.

كنتُ أرى فيك وطناً، أحتفلُ باستقلاله كل يوم.

هل سبق وأخبرتكَ عن خوفي من الظلام؟

عن عجزِي من النوم في الهدوء؟

أظنُّ أنني فعلت، فهذه الأشياء يعرفها عني كل من يعرفني!

اليوم أنا نادمة، على الوقت الضائع الذي أمضيته بإخبارك عن أشياء كهذه، بدلاً من أن أسرد لك تفاصيل ساعةٍ قد تمضي بدونك.

لم يسبق وأن أخبرتك عن الكارثة التي أعيشها في يومٍ يخلو منك.

كان كبريائي يمنعني أولاً.

ولأني ظننتُ بأنك تحبني بالقدر الكافي،

القدر الذي يمنعك من الرحيل، كان هذا ثانياً.

نادمة على إخفائي شيئاً كهذا.

نادمة أيضاً على منحي ثقة عمياء لحبٍ تلاشى مع أول ريحٍ عصفت به.

كان يجدرُ بك أن تريني كم أنت متمسكاً بي.

لكنك على حد قولك، أثرت أن تلتحق الأذى بقلبي، على أن تكذب بشيء كهذا.

لقد كنتُ كاذباً.

دعك من هذا، أنا هنا لأخبرك بأنني تخلصتُ من خوفي من الظلام،

صار الهدوء هو الشيء الوحيد الذي أسعى جاهداً للبحث عنه.

تخطيتُ أخيراً كارثة غيابك، رغم إلحاقها الأذى الجسيم بقلبي وبي،

لقد خرجتُ منها أحملُ قلبي على كفوفٍ ملطخة بالدماء.

لإن امرأة مثلكِ، قد لا يأتي بها العمر مرتين.
لا ابنتكِ، ولا أختًا لكِ، حتى لو كنتما توأمًا.
مثلكِ نادرة الوجود.

جميلة.

في شكلها،

حضورها،

نيره صوتها.

دافئة الملامح،

والقلب.

لقد كنتِ حصيلة عمرٍ قضيته في تعب.

أرق.

قلق.

كنتِ راحة عمري.

حياءً ظننتها انتهت.

كنتِ جميلة، وقاسية.

ما أن أدركتِ حجم تعلقي بكِ، حتى غادرتي.

وتركتِ لي قلبًا مشوهًا، لا يصلحُ للحياة من بعدك.

تدركين جيداً أنني لا أجد الإفصاح عن مشاعري.
لا بالحديث، ولا بالأفعال.
لكنني أكثرهم حباً لك.
أذكر يوم فراقنا جيداً، حين قلت لي:
"أن النساء يتغذين على الاهتمام والحب"، وأنا لا أجد كلاهما.
تعرفين أيضاً أنني أحبك.
أكثر من نفسي.
في قرارة نفسي، أعترف أنني مخطئاً.
كان ينبغي عليّ أن أخبرك في الثانية الواحدة مئة مرة أنني أحبك.
كنتُ أحاول أن أستحدث لأجلك كلمة جديدة.
لم أكن كاذباً، بل غيبياً.
حزمتي حقائبك وغادرت في اللحظة التي جئتك بها لأخبرك بملء صوتي أنني أحبك، لكنك
بسرعة كما سرعة الضوء، اختفيت، وأضعتك في دروب الراحلين.

"ليس خيبةً حبك، لكن سيكون كل حبٍ

لأنثى سواك، خيبة"

-ابراهيم جيعان.

لتلك السمراء أكتب.

لا اذكر كم مر على فراقنا.

فقد توفقتُ منذ مدة عن طويلة عن عدّ الايام والساعات.

ليس لأنني سعيدٌ بهذا، بل ليقيني أنني مهما عددت،

فإن الفراق قد حال بيننا.

حدث ما حدث.

ولن تعيدك لي الأيام.

سمرائي الحزينة.

التي ما إن تضحك، يضحك الكون برمته.

بعد أن افترقنا، زرتُ بيتك والحي الذي تسكنيه.

فأخبرني جارك العجوز أنك تركتي الحي.

لم تتركيني وحدي.

تركتي شجرة الورد خاصتك.

تركتي جدار بيتك العتيق.

وتركتي قلبي خلفك،

يبحث من بعدك عن سمراء مثلك.

وكلما تعثرتُ بواحدة.

طالت المسافات بيننا أكثر.

عرفتُ أنه ما من أنثى قد تستحوذ على قلبي من بعدك.

شقراء أم سمراء.

هذا المكان هو لك.

سمرائي الغائبة.

لو أن هذه الرسائل تصل إليك فتعرفين كيف حالي من بعدك!

ثملٌ بلا نبذ.

لا أنام؛ ولكني لستُ مستيقظ.
لا أتحدث؛ ولكني لا أتوقف عن الترتبة.
هائم على وجهي، كالغريق في وسط البحر.
تقذفني الأمواج هنا وهناك.
غائبة عني، ولكنك أكثرهم حضوراً.
طيفك لا يغادرني.
يستلذ بتعذيبي.
يقترّب مني، وما أن اركض إليه يتلاشى.
كما لو أنه يعاقبني على ذنب تفرّطني بك منذ زمنٍ بعيد.
سمرائي البعيدة القريبة.
لا أعرفُ كيف تحول حبي لك فجأة إلى لعنة.
تبدلت كل وجوه النسوة إلى وجهك.
كل الأصوات صوتك.
وكل العطور عطرك.
جميعهن أنت، ولكنهم ليسوا أنت.

أخيراً وليس آخراً.
صرثُ أنا وغيابك أصدقاء.
اعتدت عليه، لكنني أبكي في كل مرةٍ يجول فيها اسمك بخاطري.
اذكر وعودك بالبقاء.
تزوجت.
لكنني لم انجب أطفالاً.
أظن أن الله يريد ردعي عن نيتي، بإطلاق اسمك على ابني الأول.
أخشى إن منحتهُ اسماً آخر، أنساك.
هذه طريقي الوحيدة، لأعيش معك الحب شرعاً.
لأمنحك قلبي، ولا يمنعني أحد.
لأحبك بالطريقة التي أريدها.
أقبلك متى أردت.
لأعانقك، بطريقةٍ تروي ظمأ قلبي.
إنك من الأشياء الثابتة حضورها في داخلي، حتى وإن كنتَ غائباً.
أريدُ إحيائك بطريقةٍ، لا أخسر فيها.
فقد كانت خسارتك كافية لأن أخشى كل شيءٍ من بعدها.
أنا هنا، وأنت أيضاً هنا، تقف بالمنتصف، تحول بيني وبين زوجي.
هناك أيضاً، رجلاً لامرأة أمقتها دون ألتقي بها.
أكرهُ أبناءك، لأنني لست أهمهم.
وأكرهك لأنك لم تمنح ابنتك اسمي، فهذا خيرٌ دليل على أنني غادرتك،
وأني لم أعد حبك الأكثر وجعاً.

مازلنا نلتقي.

في أغنية.

في حلم.

في ذكرى عابرة مرت بنا.

نلتقي،

في شوارعٍ مررنا بها سابقاً نمسك أيادي بعضنا.

تحت ضوء القمر كلما كان بدرًا.

نلتقي،

في عيون بعضنا كلما نظرنا للمرأة.

ألتقيه في ملامحي كل صباح.

لم تكن هذه المرة الأولى التي نفترق بها.

لكنها الأولى التي لا نعود بها بعد ساعةٍ واحدة، لنتعاب،

لنخبر بعضنا أن لا حياةٍ لواحدٍ منا دون الآخر.

هذه المرة كان الفراق يشبه القشة التي قسمت ظهر البعير إلى نصفين.

كان الأخير.

كان كالموت.

كالسرطان.

حل بنا ولم يغادرنا إلا بعد أن غادرنا بعضنا.

كل تلك المحاولات لم تجدي نفعاً.

لم يشفى حبنا من هذا المرض اللعين.

ولم تشفع لنا ذكرياتنا الكثيرة أمامه.

كنا هنا.

وهناك.

الآن لا هو هنا.

ولا أنا هناك.

افترقنا وكان الفراق باتفاق.

قصتي معك التي نسجتها من وحي خيالي، مازالت تنتظر نهاية تليق بها.
قصةً كنتُ أنا بطلتها الوحيدة.
أصيغ الحوار وحدي، كيفما أريد.
اترك للبطل حرية عناق البطلة متى أراد.
لم أفيد أحدهم بجملةٍ واحدة.
هذا النوع من الحديث ليس بحاجة إلى كاتب.
إنه فقط كان بحاجة لحضورك.
كان الأمر سهلاً، لكنك غبت.
وضعتُ صورتك، لم تعوض غيابك.
لكن عينيك ساعدتني، لأتحدث.
لأقول لك أنني أحبك.
صدق إن قلتُ لك، أنني أتلاشى، كالسراب.
كصورةٍ مجسمة.
أنا لم أفقدك فقط.
بل فقدتُ نفسي، بكل ما فيها.
ملامي.
صوتي.
فرحتي.
نسيبتُ بغيابك كيف كنتُ أضحك.
صدق إن قلتُ لك أنني نسييت متى كانت آخر مرة نمتُ فيها من فرط سعادتي.
لقد كان منذ زمنٍ بعيد، تحديداً،
الليلة التي أخبرتني فيها أنك تحبني.
اذكُر حينها كيف رقصت لأول مرة.
كيف تجملت بكلمتك، لا بالمساحيق الصناعية.
كيف كانت تتورد وجنتي كلما أعدت ترديدها.
لم تكن أنا من في البيت، بل فراشة هربت من نافذة غرفتك، وجاءت إلى غرفتي.

بعد الحب والشوق والانتظار المفرط.

بعد كم هائل من البحث بلا جدوى.

وبعد البكاء كل ليلة.

وقبل كل شيء، وقبل أن يسوقني الحديث عن أي شيء آخر، دعني أسألك :

-كيف حالك؟

ومتى سأتوقف عن إرسال هذا السؤال لك!

متى ستمطر حروفك على قلبي بأنك بخير.

أوقن أنك كذلك،

وإلا لأخبرني قلبي.

فقلب العاشق بوصلته التي لا يمكن أن تخطئ.

وقلبي كقلب أمك، وربما أقرب.

بالحديث عنك!

هل تعدّ النجوم قبل نومك حتى الآن؟

أتذكر، حين كنت تقوم بعدي عوضاً عن عد النجوم، حين سألتك لماذا؟

قلت لي أنني نجمتك التي تملأ سماءك، وتضيء لك كونك، هل مازلتُ نجمتك، أم أنني سقطت!

وحلت نجمة اخرى مكاني.

تعرف أنها ليست رسالتي الأولى،

وأن هذه الكلمات هي دموعي.

اليوم بعد أن كنتُ أبكي لرحيلك، صرتُ أبكي لحالي.

أضعتُ نفسي حين كنتُ أبحث عنك.

فقدتُ الشغف.

والحياة.

ونفسي.

كما لو أنك تعاقبني على كل الأشياء السيئة التي قابلتك في حياتك.
في حين كنت أرى فيك تعويضًا عن كل الأشياء السيئة التي مرت بي.
هناك فوارق كثيرة بيننا، وبطريقة حبنا، فيما لو كنت قد أحببتني حقًا.
جملة قلتها لي ذات مرة، لازالت تصدح في أذني كما لو أنني سمعتها الآن في هذه اللحظة، حين
قلت لي :

"لا تمنحنا الحياة كل ما نحبه، تعاقبنا في الأشياء التي نحبها،

وأخشى أن يكون عقابي هو خسارتك".

ألم تعد تخشى خسارتي؟

هل صرت شجاعًا بما يكفي، لتواجه الحياة بدون نجمتك؟

كيف تحيا في الظلام وأنت تكرهه؟

احك لهم عني.
قل لهم كيف أحببتك.
وكم من مرة غفرتُ لك.
وكم من مرة جئتُك متعبة.
أخبرهم كيف بترت لي أقدامي.
ومنعتني من القدوم إليك.
أخبرهم كيف خان اليمين كل هذا الود.
وأخبرني كيف استطاع قلبك ان يفعل
ما لا يُفعل؟
قل لي كيف سيكون الحال من بعدك؟
قل لي إلى أي الجهات أهرب؟
وأنت كُلها.
يديا وقدماي بُترت.
وبعد كل هذا،
جئتُك زاحفة
لكن على قلبي.

إنها الثانية عشر بعد منتصف الليل.
موسيقاي المفضلة تُعزف.
ودفترتي هناك يناديني، لأفتحه.
واكتب لك.
لستُ وحدي من تعاني غيابك،
فكل الأشياء التي لمستها كفوف يديك، تنتظر دفئها ليسقط عليها من جديد.
فكل الأشياء التي غادرتها باتت باردة، أولها وأوسطها وآخرها
قلبي.
ينظر للمارة بخلسة.
كلما مر عطرٌ يشبه الذي تضعه
قفز من مكانه يبحثُ عنك.
وكلما نادى أحدهم باسمك.
خرجت عيناى من مكانهما تنتظرك
أن تأتي.
الا أن العطر ذاك ليس لك.
وذاك المُنادى لست أنت.
وكل الأشياء التي كانت منك.
لم تعد كذلك.
غريبة، باردة، قاسية
كقلبك.

خرجتُ من قلبه، كمن يخرج من شقةٍ طال مكوته فيها.
أعدتُ كل الأشياء إلى مكانها،
نفضتُ عنه غبار الأيام، وعجرتُ عن إغلاق الشروخ التي افتعلتها الأيام التي كانت.
كذكرى مني تركتُ صورة لي معلقة على جدار قلبه،
أو ربما لتعرف كل امرأة تأتي من بعدي أن هذا المكان كان يوماً مأهولاً بي.
كنتُ أرغب كثيراً بأن أسرق شيئاً منه وأحمله معي في رحيلي.
لكنني خشيت أن تُقطع يدي التي سرقت.
ولا يعود بوسع يدٍ واحدة أن تحمل كل الأيام التي خرجتُ بها.

هنا تحديداً، تحدثتُ عنك.
لسقف غرفتي المتشقق.
رسمتُ لك صورةً، وحدي من يراها.
أخبرته عنك الكثير.
ماذا تحب وماذا تكره.
وكيف تضحك.
وكيف يتطابق جفنيك.
كيف تغضب.
وكيف تشرب القهوة.
أخبرته عن آخر مرة ألتقينا بها.
عن صورةٍ واحدة ألتقناها.
كنت تضحك، كطفلٍ وديع.
تحلقُ الفراشات في قلبي كلما نظرت إلى الصورة.
إنها الوحيدة التي بقيت لي منك.
لن أكذب.
فقد تخلصتُ من كل الأشياء التي تعنيك وكانت بحوزتي.
هذه الصورة لم أستطع أن اتخلص منها.
خشيت أن أبحث عنها، في اللحظة التالية.
إنك بيومٍ ما، كنت أعظم انتصارٍ حققته،
وبلحظةٍ مجهولة،
تحولت لأسوء هزائمي.
وأقوى خيبة تعرضتُ لها.
شاهدتُ لك صورة مع امرأة أخرى، أصغر مني سنًا، وأقرب إليك مكانًا.
هنأتها، لم أشتمها ولم أشتمك، فلا أحد يعرف حقيقة الصورة، ولا بأي الظروف التقطت.
قد أبدو غيبيةً بعض الشيء، لكنني حتى هذه اللحظة أنا ألتمس لك عذرًا.
في حين كنتُ أرفض أن أمنح أحدًا عذرًا واحدًا من السبعون، منحتك مئة وأكثر.

"بتزكر شو كان حلو نيسان،

والبرد بأول تشرين".

-سامر.

بالحديث عن أبريل، وبداياته.

وعنك.

كنت الكذبة الوحيدة التي أمنتُ بها وصدقته.

فعلتُ ما بوسعي كي تكون حقيقة لا كذبة.

وفعلت أنت ما بوسعك لتصفعني برحيلك.

أعرفُ أنني لم أكن أكثر من مجرد امرأة لم تضيف لحياتك لونا ولا طعماً.

لكنك كالماء جعلت مني كل شيء حي.

أعدت إحيائي، كنت الوحيد الذي استطاع انتشالي من واقعٍ كلما اصطدمتُ به سقطت، وسقط كل ما بي.

كنت الشخص الوحيد الذي أستطاع بنظرةٍ واحدة من عينيه أن ينقذني، ويُغرقني في نفس الوقت.

2022/4/1

يوماً ما سيكون لك النصيب الأكبر من النسيان.
ستكون كأبي عابر ألتقيته مرة.
لن تملك مني أية شعور يذكر.
لن تكون حبيباً.
ولا صديقاً.
ولا رفيقاً.
ولا حتى عدواً.
مثلك يستحق أن يكون لا شيء.
ومثلي تستحق أن تكون كل شيء.
مثلي تستحق أن تحلق في السماء.
لن تكون كتفاً أميل عليه.
ولا موطناً ألبأ إليه، مثلك يستحق أن يكون منفي.
ومثلي تستحق أن تكون ملاذاً آمناً.
يوماً ما لن يتربع اسمك في قائمة الأمنيات.
ولن اكتبه في دفتر مذكراتي ليقراه أولادي فأحفادي.
لن تحصل مني على شيء،
لا شعور.
ولا كلمة.
ولا حتى نظرة عابرة.

بعد ليالٍ ليست بطويلة، كانت خالية من رسائلني إليك.
ولأنني وعدتك أنني سأكتب لك، حين عرفتُ أنك تقرأ لي،
عدتُ لأكتب.
كنتُ منشغلة مؤخرًا، بأشياء قد لا تهتمك، أنا هنا لأكتب عنك لا عني.
مؤخرًا بدأت بالبحث عن طرقٍ جديدة للنسيان.
ذكرياتنا معًا، صوتك، رائحتك، تفاصيلك، كلها باتت ثقيلة على قلبي،
لم يعد فيه متسعًا لأشياء أخرى.
النسيان بالنسيان، والبعدُ بالبعد.
أظنني على مشارف الباب الأخير من الأبواب التي كنتُ أطرقها لأستعيدك،
لم أعد أشعر بحاجتي إليك.
لا يلتفت قلبي حين يُذكر اسمك.
لم أبكي عندما سمعت خبر ارتباطك بجديدة.
هذه المرة أنا على يقين، بأنك لو قابلت كل يوم امرأة جديدة، لن تجد واحدة منهن تشبهني، ولن
تقدم لك أية واحدة منهنَّ حبًا كالذي منحتك إياه.
لم يكن حبًا عابرًا، ولم يكن وليد لحظة اهتمام، كان كالشجرة المغروسة في قلبي،
لن اتخلص منه حتى لو بترته، الجذور تتعمق.

مرحباً.

لن أسأل عن حالك، ما عاد يعنيني.

أريد أخبارك قبل أن تقرأ أن هذا النص لك، بكل كلمة وكل حرف، من ألفه إلى ياءه هو لك، حتى علامات الترقيم.

اعتدتُ دومًا أن أكتب لك عن مخاوفي من فقدانك، عن وحشة غيابك، عن ظلام النهار الذي كنتُ أعيشه بدونك.

لكني اليوم، أكتبُ شيئًا مختلف، إن كنت تريد أن تقرأ سأكون سعيدة، وإن كانت قراءتك لحروفي ستسرق من وقتك الثمين، توجه إلى آخر سطر، ستجد فيه خلاصة كل الكلام الذي أريد إيصاله إليك.

اليوم، أقف خالية منك.

أنظر للأشياء التي تعنيك بصورة أخرى غير التي كانت قبلاً.

ليست بعيونٍ مليئة بالحب، مليئة بللا شيء.

أع جيداً ما أقوله.

أشعر أنني أخيراً استعدت شيئاً كان غائباً عني منذ زمن.

منذ مدة طويلة، كنتُ أقف أمام المرأة أبحث عني، عن ملامحي، عن سلوكياتي، ولا أجدها.

اليوم وجدتُ كل شيء كما كان،

أي قبل أن ألتقيك.

نظرت إلى صورة جمعتنا، لم أنظر إليها كما كنتُ قبلاً،

أنظر إليها بعيني شخص لا يعرف من في الصورة.

أخذتُ أقلبُ فيهن واحدة تلو الأخرى، ولم تحرك بي ساكناً.

هذه المرة الأولى التي أنظر فيها ولا أبكي.

توقفْتُ عن مراقبتك منذ مدة، ظننتُ أنني فعلت هذا الشيء حفاظاً على شعوري، وكي لا يطغى الشوق عليّ أكثر فينتهي بي المطاف أقف أمام بابك ارتجي واصلك.

غير أنني أدركتُ أخيراً، أنني تجاوزتك.

كانك لم تكن حبيباً، ولا صديقاً، ولا حتى عابراً.

لا أخبرك بهذا الشيء لأحافظ عما تبقى لي من كبرياء، بعد رفضك لي، أخبرك وأنا أشعر به.

لقد تجاوزتك منذ مدة طويلة، دون أن أدرك.

كنتُ أعيش وهماً.

كنتُ بانتظارك، ولكثرة ما انتظرت،

رحلت أنت في طيات العابرين التي بداخلي.
لقد رحلت كما المسافر الذي لن يعود إلى وطنه أبدًا.
حتى وإن قررت اليوم العودة، وأنا أعرف مسبقًا أنك لن تفعل، ستجد امرأة لا تشبه التي تركتها
وراءك ورحلت.
"لقد كان طعم التجاوز حلواً كما لو أنني تناولتُ من فاكهة الجنة".

20/10/2021

"حنين"

الصفحة الأخيرة من الكتاب، لغائبة سرقها الموت منا.

لم يسعفنا الوقت، لنودعها، أو نمطر عليها بكلماتنا.

لم ينتظر لنقبل جبينها، فقد كان أسرع منا.

عانقوا أحببكم، لا تحرموهم من الحب طالما أنكم قادرون على منحه دون مقابل، لا تمنعوا عنهم الحنان، كونوا أكثر حبا ما دتم أحياء، فالموت لا ينتظر أحد.

"إن قضية الموت ليست على الإطلاق

قضية الميت، إنها قضية الباقين".

- غسان كنفاني.

إنك حاضرة في ذاكرتي أكثر من أي شيء آخر.

احتفظ بك.

أبكيك ليلاً ونهاراً.

أعض أصابعي ندمًا، لأنني لم أكن برفقتك في أيامك الأخيرة.

هذه الصفحة، هي إحدى محاولاتي الكثيرة، لتخليدك في ذاكرتي، بطريقة أو بأخرى أسعى جاهدة، ليبقى ذكرك في حياتي.

لإن الموت كان أسرع مني وسرقتك منا برفقة عين.

أرثيك بصفحة من صفحاتي، إليك اكثب هذه الكلمات.

لتحيي في كتاباتي، وتكوني حاضرة دائماً.

لتصلك دعوات كل من يفتح هذا الكتاب.

لتنزل عليك رحمة من الله.

لعل غيابي عنك في أشد أوقاتك حاجة لمن تميلي بثقلك عليه.

إنك الغائب الوحيدة، التي ارتجي عودتها.

أبكي غصةً وألمًا، كلما مرت بي صورة لك، لأنني عاجزة عن الحديث، وعاجزة عن احتضانك.

لقد كانت اللحظة التي فقدتك فيها، أشد لحظاتي عمري وجعًا، منذ تلك اللحظة، سقط جزء مني، فقدت شيئاً مني، لقد كان موتك كارثة حقيقية، لم يعد بعدها شيء بخير.

لترقد روحك بسلام.

وليجمعي الله بك تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله.

الفاحة على روح صديقتي.

"حنين إيهاب الياصجين"

تمت...

2022/7/30



Diana A Manaseer

لأن الغائب بلا عذر لا يُؤتمن، وإن عاد بتقل الأرض
ندماً.

لأننا كنا نستحق حباً كالذي منحناه .
ولأننا ما أذينا الراحلين بكلمة أو نظرة ،
وكان جزاؤنا منهم، خيبة تلو الأخرى، وجراحاً لا
تُضمّد

وناراً خُلدنا فيها بلا أي معصية تُذكر .
لأنكم كنتم الأسد قسوة، في حين كنا لكم الأسدُ .
حباً

هذا الكتاب، لكل غائب لا ينوي العودة .
لمن سولت له نفسه بأن يرحل، دون وداع يليق .
بقلوبنا